

العناية بمنهج الإمام مالك في الموطأ، من خلال الدراسات الأكاديمية

الجزائية

أ.د فتيحة محمد بوشعالة

ملخص

تتمحور فكرة هذه الورقة البحثية الموسومة ب(العناية بمنهج الإمام مالك في الموطأ، من خلال الدراسات الأكاديمية الجزائرية) حول الجهود الأكاديمية للباحثين الجزائريين حول منهج الإمام مالك رحمه الله في كتاب الموطأ، ومدى إلمام تلك الدراسات بجوانب الموضوع، انطلاقاً من إشكالية مفادها: ما مدى اشتغال الباحث الجزائري في دراساته على استنطاق الموطأ للوقوف على فكر الإمام مالك المنهجي؟ وتهدف هذه الدراسة إلى استقراء الجهود لمعرفة مدى إجابتها على هذه الإشكالية، كما تهدف لإبراز قيمة الموطأ من الناحية المنهجية، وكان من جملة النتائج أنه على الرغم من قلة تلك الدراسات إلا أنه من ضمنها من سد تلك الثغرة وأجاد في استكناه عبقرية الإمام مالك المنهجية من خلال موطئه.

الكلمات المفتاحية: الدراسات-الجزائرية- منهج- مالك- الموطأ.

Resume

The idea of this research paper is centered on the academic efforts of Algerian researchers on the methodology of Imam Malik (may Allah have mercy on him) in the book Al-Muta'a, and the extent to which these studies are familiar with the aspects of the subject, based on the question: What is the extent to which the Algerian

researcher works on interrogating the Muta'a in order to identify Imam Malik's methodological thought?

This study aims to extrapolate the efforts to find out the extent to which they answer this question. It also aims to highlight the value of the Muta'a from the methodological point of view. One of the results was that although there are few studies, some of them filled this gap and were able to recognize the methodological genius of Imam Malik through his Muta'a.

Keywords: Algerian Studies - Methodology - Malik - Muta'a.

مقدمة:

لاقت كتب السنة النبوية المشهورة، ومنها موطأ الإمام مالك اهتمام واسعا بها قديما وحديثا كونها المصدر الثاني للإسلام، وتنوعت مجالات الاهتمام بين الشرح وبيان الغريب وجمع الزوائد ودراسة أسانيدھا والكشف عن رجالها وبيان مناهج أصحابها، وغيرها من الجوانب، إلا أنه من خلال دراساتي وقراءاتي وجدت جانبا في موطأ مالك لم ينل حظه من البحث والدراسة عند المتقدمين والمتأخرين رغم كثرة ما كتب حوله، يقول القاضي عياض في المدارك: "لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ". هذا الجانب هو منهج الإمام مالك في موطئه.

رغم أن موطأ مالك رحمه الله كان له أثر كبير على كل من جاء بعده ممن صنف في علوم الحديث¹، خاصة على الصحيحين والسنن، من حيث منهج التصنيف والتبويب والتراجم، وكذا ترتيب الأحاديث، وأسماء الكتب والأبواب، وجمع أحاديث الأحكام، وفي الصناعة الحديثية والفقهية، وفي منهجه في كتاب الموطأ عموما.

ولذا جاءت هذه الورقة البحثية، والتي تتمحور حول الإجابة عن إشكالية معرفية تسعى للكشف عن الجهود الأكاديمية في الجامعة الجزائرية من حيث اهتمامها بمنهج الإمام مالك رحمه الله في موطئه، لما للموطأ من مكانة في المنظومة المعرفية في الغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا (الجزائر).

ولموطأ الإمام مالك مكانة علمية رائدة ضمن التراث الإسلامي من حيث المحتوى والمنهج والاستدلال، فهو كتاب حديث وفقه وأصول، جمع فيه الإمام مالك رحمه الله بخبرته وعلمه واجتهاده بين علوم شتى ومناهج مختلفة في التصنيف والتبويب والتقسيم وترتيب النصوص ومنهجية الاستدلال بها، وقوة ودقة استنباطاته من تلك النصوص مما جعل من جاء بعده عيال عليه وعلى كتابه أمثال الإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهما ممن صنف على طريقة الأبواب.

فهل كتب الأكاديميون الجزائريون في هذا المجال؟ وما مدى تمكنهم من الكشف عن منهج الإمام في الموطأ والإحاطة بمكنوناته وسبر أغوار فكره المنهجي؟

¹ - ينظر مقال (أثر الإمام مالك رحمه الله وموطئه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي)، عبد الرحمن بن عمري بن عبد الله الصاعدي، مجلة جامعة طيبة، العدد 8 السنة الخامسة، 1437 هـ.

وحسب اطلاعي لم أجد من كتب في هذا الموضوع تحديداً، في حين وقفت على دراسات حول جهود علماء الجزائر في خدمة الموطأ عموماً دون تخصيص البحث في منهج الإمام مالك فيه، ومن تلك الدراسات:

- 1- جهود علماء الجزائر في خدمة الصحيحين والموطأ، رسالة دكتوراه من إعداد الباحث بن شادي توفيق وتحت إشراف الدكتور مصطفى حميداتو، ونوقشت عام 2013م.
- 2- جهود المحدثين الجزائريين في خدمة الموطأ، مقال للدكتور مصطفى حميداتو نشر في مجلة المنهل، العدد 02، سنة 2015م.
- 3- الحديث والمحدثون في الجزائر، دراسة ببليوغرافية من إعداد الدكتور مصطفى حميداتو، دار سامي للنشر والطباعة، الوادي الجزائري، ط 1، 2025م.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين

مقدمة

المبحث الأول: دراسات حول مسائل جزئية في منهج الإمام مالك في الموطأ

المطلب الأول: دراسات أكاديمية (رسائل دكتوراه وماجستير)

المطلب الثاني: مقالات علمية

المبحث الثاني: دراسات حول منهج مالك في الموطأ إجمالاً

المطلب الأول: تعريف بالكاتب ومصنفه

المطلب الثاني: محتويات الدراسة

المطلب الثالث: ما يستفاد من الدراسة

المبحث الثالث: دراسات حول الموطأ خارج الجامعة

المطلب الأول: دراسة جزائية بالخارج

المطلب الثاني: دراسة جزائية غير أكاديمية

خاتمة: النتائج والتوصيات

المبحث الأول: دراسات حول مسائل جزئية في منهج الإمام مالك في الموطأ

المطلب الأول: دراسات أكاديمية (رسائل دكتوراه وماجستير)

ما لاحظته أثناء بحثي واستقرائي لجوانب الموضوع تبين لي أنّ عدد الرسائل الجامعية التي تناولت منهج الإمام مالك في الموطأ، سواء في جزئيات منه أو فيه كلية قليلة مقارنة بعدد المقالات التي كانت كثيرة ومتنوعة.

ومما وقفت عليه من تلك الأطروحات الأكاديمية التي تناولت جوانب من منهج الإمام في الموطأ، أن منها ما تناول الصناعة الحديثية في الموطأ، ومنها ما تناول مسائل فقهية ومنهج الإمام مالك فيها، ومنها ما تناول منهج الإمام في فقه السنة، ومنها ما تناول جوانب أصولية عند الإمام من خلال الموطأ ومنهجه فيها، ومنها المسائل اللغوية، وتفصيل ذلك كالآتي:

- 1- ما تناول الصناعة الحديثية والوقوف على منهج الإمام فيه: ومن ذلك رسالة ماجستير الأستاذ حسان موهوبي رحمه الله تعالى، الموسومة ب: (مالك بن أنس وأراؤه الحديثية رواية ودراية)² تحت إشراف الدكتور محمد محدة (رحمه الله)، عام 1995، حيث فصل في جزء منها بعض ملامح منهج الإمام مالك في علم الحديث رواية ودراية ممارسة، وحاول استنباط معالم الصناعة الحديثية عنده.
- ومن ذلك أيضاً رسالة دكتوراه للباحث بن مجدوب إدريس والموسومة ب: (البلاغات غير المرفوعة عند الإمام مالك من خلال الموطأ، وصلاً ودراية)³ تحت إشراف الدكتور مصطفى حميداتو، عام 2019، حيث درس فيها موضوع البلاغات غير المرفوعة في الموطأ ومنهج الإمام في إيرادها وغرضه منها.

² - مالك بن أنس وأراؤه الحديثية رواية ودراية. حسان موهوبي، إشراف محمد محدة، رسالة ماجستير. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 1995م.

³ - البلاغات غير المرفوعة عند الإمام مالك من خلال الموطأ، وصلاً ودراية، من إعداد الباحث بن مجدوب إدريس وتحت إشراف الدكتور مصطفى حميداتو، رسالة دكتوراه، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2019م.

2- ما تناول منهج الإمام في فقه السنة، ولم أقف إلا على دراسة واحدة وهي أطروحة دكتوراه للباحثة هند أكني بعنوان (مراعاة المقاصد الشرعية في فهم السنة النبوية، دراسة في أحاديث المعاملات من الموطأ والصحيحين والسنن الأربعة)⁴ تحت إشراف الدكتور سلمان نصر، عام 2018م.

حيث تناولت في قسم منها منهج الإمام مالك في مراعاة المقاصد الشرعية من خلال اختياره لأحاديث الباب، ودقة استنباطه المعاني والحكم من السنة النبوية.

3- ما تناول الصناعة الفقهية الأصولية، حيث كان النصيب الأوفر للأطاريح الجامعية حول الموضوع منصبا على الجانب الفقهي الأصولي، ووقفت على خمس رسائل، هي:

الدراسة الأولى بعنوان: (إطلاقات السنة عند الإمام مالك في الموطأ، دراسة تأصيلية فقهية)⁵ رسالة ماجستير للباحثة قاسم فاطمة تحت إشراف الدكتور محمد اسطنبولي، 2008م. حيث تناولت الباحثة منهج الإمام مالك في إيراد مصطلح (السنة) في الموطأ ومدلولات ذلك عنده، بعد استقراء الباحثة للمصطلح في الموطأ والقيام بدراسة تحليلية للوصول إلى أغراض الإمام مالك من إطلاق مصطلح (السنة) في جميع كتابه.

الدراسة الثانية بعنوان: (المسائل التي راجع عنها الإمام مالك في بابي العبادات من خلال الموطأ والمدونة، جمعا ودراسة)⁶ وهي عبارة عن، أطروحة دكتوراه من إعداد الباحث حمزة بونعاس وتحت إشراف الدكتور سمير جاب الله، سنة 2012. بحث فقهي بحث اشتغل فيه الباحث جمع واستقصاء المسائل الفقهية في باب العبادات التي رجع عنها الإمام مالك في دراسة مقارنة بين الموطأ والمدونة.

⁴ - مراعاة المقاصد الشرعية في فهم السنة النبوية، دراسة في أحاديث المعاملات من الموطأ والصحيحين والسنن الأربعة، رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة هند أكني تحت إشراف الدكتور سلمان نصر، عام 2018م. كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر.

⁵ - إطلاقات السنة عند الإمام مالك في الموطأ، دراسة تأصيلية فقهية، رسالة ماجستير من إعداد الباحثة قاسم فاطمة تحت إشراف الدكتور محمد اسطنبولي، 2008م

⁶ - المسائل التي راجع عنها الإمام مالك في بابي العبادات من خلال الموطأ والمدونة، جمعا ودراسة، أطروحة دكتوراه من إعداد الباحث حمزة بونعاس تحت إشراف الدكتور سمير جاب الله، سنة 2012م. كلية الشريعة، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر.

الدراسة الثالثة بعنوان: (الكراهة عند الإمام مالك من خلال كتابه الموطأ)⁷ عبارة عن رسالة دكتوراه من إعداد الباحث لعريبي محمد تحت إشراف الدكتورة مليكة مخلوفي، سنة 2013.

وهو بحث استقرائي تحليلي اشتغل فيه الباحث على استقراء مصطلح (الكراهة) عند الإمام مالك في الموطأ وجمع شتاته للوقوف على مقاصد الإمام من استعماله للمصطلح ومدلولاته المختلفة في المواطن التي ساقه فيها في كتابه.

الدراسة الرابعة بعنوان: (منهج الإمام مالك في الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين في بيانه للسنة النبوية من خلال كتابه الموطأ)⁸ عبارة عن رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة قاسم فاطمة تحت إشراف الدكتورة سعاد سطحي، 2016.

وهي دراسة أصولية بحثية تطرقت فيها الباحثة للكشف عن منهج الإمام مالك في الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين لشرح السنة النبوية (المرفوع)، حيث بينت طريقته في إيراد موقوفات الصحابة ومقطوعات التابعين للتدليل على معاني السنة النبوية ومقاصدها، من خلال طريقة ترتيبه لها في الأبواب وطريقة تعليقه عليها وما يستفاد من كل ذلك في خدمة النص النبوي واستجلاء مقاصده.

الدراسة الخامسة بعنوان: (الأدلة العقلية عند الإمام مالك من خلال الموطأ والمدونة الكبرى)⁹ عبارة عن أطروحة دكتوراه من إعداد الباحث نويوة زين الدين وتحت إشراف الدكتور بوبشيش صالح، 2007م. حيث سعى الباحث للكشف عن الأدلة العقلية التي اعتمد عليها الإمام مالك في بناء منظومته الفقهية، إلى جانب الأدلة النقلية، في دراسة جامعة بين الموطأ والمدونة، ومن ذلك إبرازه لمكنة الإمام مالك في الاجتهاد

⁷ - الكراهة عند الإمام مالك من خلال كتابه الموطأ، رسالة دكتوراه من إعداد الباحث لعريبي محمد تحت إشراف الدكتورة مليكة مخلوفي، سنة 2013.

⁸ - منهج الإمام مالك في الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين في بيانه للسنة النبوية من خلال كتابه الموطأ، رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة قاسم فاطمة، إشراف الدكتورة سعاد سطحي، 2016.

⁹ - الأدلة العقلية عند الإمام مالك من خلال الموطأ والمدونة الكبرى، دكتوراه من إعداد الباحث نويوة زين الدين وتحت إشراف الدكتور بوبشيش صالح. 2007

وتصدره له، حيث كان الإمام فيه، ومن جملة ما استخرجه من تلك الأدلة: القياس والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها.

4- ما تناول الصناعة اللغوية في الموطأ، ووقفت في هذا المضممار على دراسة واحدة، بعنوان (أفعال الكلام في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك)¹⁰، عبارة عن رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة كرازي وناسة، إشراف الدكتور هادف السعيد، عام 2018م.

حيث سعت الباحثة لإسقاط النظرية اللسانية المعاصرة (التداولية) على الأحاديث النبوية الواردة في الموطأ، بدراسة أفعال الكلام في الخطاب النبوي، من خلال الألفاظ التي أثبتها الإمام مالك في الموطأ.

المطلب الثاني: المقالات العلمية

كان النصيب الأوفر لجهود الباحثين الجزائريين حول بيان منهج الإمام مالك في الموطأ مبثوثا في المقالات العلمية مقارنة بالأطاريح، حيث وقفت على عدد معتبر منها في جزئيات متنوعة وجوانب من منهج الإمام في كتابه، حيث بلغ عددها 20 مقالا أكاديميا في مختلف المجالات الجامعية المحكمة؛ وقد تنوعت مواضيعها، من كاتب في الجانب الحديثي عند الإمام مالك سواء في الشق الإسنادي النقدي أو في فقه الحديث والسنة، ومن كاتب في الجوانب الفقهية والأصولية، وكذا جوانب السياسة الشرعية، ومنها أيضا كتابات في المقاصد عند الإمام مالك من خلال الموطأ. وتفصيلها كالتالي:

1- المقالات التي تناولت الصناعة الحديثية، ومن ذلك مقال بعنوان (حقيقة ترك الإمام مالك العمل ببعض الأحاديث التي رواها في الموطأ، أحاديث الطهارة والصلاة نموذجا)¹¹، ومقال (دفع تعارض روايات الموطأ في قنوت الصبح عند الإمام مالك)¹²، ومقال (ضوابط الفهم المقاصدي وأثرها في فهم السنة عند الإمام مالك رحمه الله)¹³، ومقال (منهج الإمام مالك

¹⁰ - _ أفعال الكلام في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة كرازي وناسة، إشراف الدكتور هادف السعيد، عام 2018م.

¹¹ - مقال للباحث جلة مصطفى، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة وهران أحمد بن بلة 1، مجلد 13 العدد1، جانفي 2021.

¹² - مقال للباحث أحمد علي زواري، مجلة الإحياء جامعة حمة لخضر الوادي، مجلد 18 العدد 21 جوان 2018م.

¹³ - مقال للباحثة يمينة بوسعادي، مجلة المعيار كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر، مجلد 25 عدد 57، 2021م.

رحمه الله في ترتيب أحاديث الباب في كتابه الموطأ¹⁴، ومقال (منهج الإمام مالك بن أنس في الرواية عن عكرمة مولى عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما))¹⁵، ومقال (منهج الإمام مالك رحمه في تفسير الكلاله من خلال الموطأ)¹⁶، ومقال (منهج الإمام مالك في المناولة)¹⁷، ومقال (منهج الإمام مالك في تفسير آيات الأحكام، الموطأ نموذجاً)¹⁸ ومقال (مكانة الموطأ في الجزائر)¹⁹ فيه لمحة موجزة عن منهج مالك في الموطأ.

2- المقالات التي تناولت الصناعة الفقهية والأصولية عند الإمام مالك في الموطأ، ومن ذلك مقال بعنوان: (لمحات في منهجية العمل بدلالات السنة النبوية، وقفات تحليلية في اجتهادات مالك بكتاب الموطأ)²⁰، ومقال (الأثر الفقهي لترك الإمام مالك للحديث وأخذه بقول الصحابي)²¹ ومقال (الآراء السياسية للإمام مالك من خلال الموطأ)²²، وكذا مقال (الاستنباط من القرآن الكريم عند الإمام مالك من خلال كتابه الموطأ)²³، ومقال (التفسير المقاصدي للنصوص الشرعية عند الإمام مالك في كتابه الموطأ)²⁴، ومقال (تحقيق القول في مسألة تعارض قاعدة سد الذرائع مع خبر الواحد عند الإمام مالك)²⁵، ومقال (فقه التوسط عند المالكية، قراءة سياسية في أصول وقواعد الإمام مالك رحمه الله)²⁶ وأيضاً مقال (قراءة في آراء الإمام مالك السياسية)²⁷.

¹⁴ - مقال للباحث أحمد خويلدي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، مجلد 12 العدد 1، 2021م.

¹⁵ - مقال للباحث محمد علي سناقرية، مجلة الشهاب مجلد 7 العدد 1، 2021م.

¹⁶ - مقال للباحث بن أودينة أشرف جلال، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، مجلد 26 العدد 36، 2022م.

¹⁷ - مقال للباحث عبد الحميد محمد العزابي، مجلة الذخيرة جامعة غرداية، مجلد 7 العدد 2، 2023م.

¹⁸ - مقال للباحث بلخير مراد، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة وهران 1، العدد 8، 2017م.

¹⁹ - مقال للباحث علي عزوز، جامعة الجزائر، ملتقى المذهب المالكي في الجزائر، أفريل 2004م.

²⁰ - مقال للباحث حسان موهوبي، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، مجلد 12 العدد 24، 2010م.

²¹ - مقال للباحث نوح دربال، جامعة الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات، العدد 13.

²² - مقال للباحث لخضر دلهوم، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مجلد 7 العدد 1، 2015م.

²³ - مقال للباحث الهواري بلجيلالي، جامعة وهران 1، مجلة الحضارة الإسلامية، مجلد 18 العدد 1، 2017م.

²⁴ - مقال للباحث عبد الغاني ادعكيل، جامعة غرداية، مجلة الذخيرة، مجلد 2 العدد 2، 2018م.

²⁵ - مقال للباحث مصطفى جلة، مجلة الإبراهيمي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 5 العدد 2، 2021م.

²⁶ - مقال للباحث عماد المرزوق، مجلة الشهاب، جامعة الحاج لخضر، مجلد 8 العدد 2، 2022م.

²⁷ - مقال للباحث أحمد أولاد سعيد، جامعة غرداية، مجلة الذخيرة، مجلد 1 العدد 1، 2017م.

ومقال (ملاحق فقه الموازنات عند الإمام مالك رحمه الله)²⁸، ومقال (منتقى من نصوص مالك الواردة في الموطأ التي أجراها المالكية مجرى القواعد الفقهية)²⁹ وقد تناولت كل مقالة من هذه المقالات العلمية جانباً من جوانب منهج الإمام مالك في كتابه الموطأ

المبحث الثاني: دراسات حول منهج مالك في الموطأ إجمالاً

أثناء بحثي عن دراسات أكاديمية حول منهج الإمام مالك في الموطأ بصفة كلية، لم أعثر للأسف إلا على دراسة واحدة تناولت الموضوع:

المطلب الأول: تعريف بالكتاب ومصنفه

وأنا في مرحلة الطلب كان يستوقفني دوماً مدى اهتمام العلماء بالصحيحين من حيث الغوص في منهجهما، خاصة ما فعله ابن حجر مع صحيح البخاري في هدي الساري، ويحز في نفسي لم لم يلق الموطأ ذلك الاهتمام؟ حتى وقفت على هذه الدراسة فطرت فرحاً بها، لأنها أجابت عما كنت أبحث عنه.

هذه الدراسة هي عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان (الإمام مالك وعمله بالحديث من خلال كتابه الموطأ) من إعداد الباحث محمد بن يحيى مبروك، أستاذ الحديث وفقه السيرة جامعة وهران، الجزائر.

1/ الباحث هو محمد بن يحيى مبروك أستاذ بجامعة وهران 1، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، نال شهادة الماجستير بأطروحة موسومة ب(الإمام مالك وعمله بالحديث من خلال كتابه الموطأ) عام 2005 م، ثم تحصل على شهادة الدكتوراه بأطروحة عنوانها (دعوى النسخ والخصوصية في الأحاديث النبوية وأثرها في الخلاف الفقهي، دراسة تطبيقية في أبواب العبادات) عن قسم الكتاب والسنة، تحت إشراف الدكتور عبد القادر سليمان، عام 2019 م.

2/ الكتاب هو عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجنان بطرابلس لبنان بتاريخ جويلية 2005 م، وأجيزت بتقدير ممتاز من قبل اللجنة وبإشراف مصطفى ديب البغا، ثم طبعت بعد ذلك ككتاب عام 2010 م طبعة أولى عام 2010 م عن دار ابن حزم للطباعة والنشر، مجلد يحتوي 736 صفحة.

²⁸ - مقال للباحث يوسف نواصة، مجلة الشهاب، مجلد 4 العدد 2، 2018 م.

²⁹ - مقال للباحثة مهدية بلهول، مجلة المعيار، مجلد 23 العدد 45، 2019 م.

تتضمن الرسالة بعد الإهداء والمقدمة: ثلاثة أبواب³⁰

- 1- الباب الأول: حياة الإمام مالك الشخصية والعلمية ومعالم إمامته، حيث لم يكتف الباحث بإعمال المنهج الوصفي في سرد سيرة الإمام ومسيرته العلمية، بل أعمل المنهج التاريخي باستقراء النصوص التاريخية واستنطاقها لإخراج ما ليس مكتوباً فيها، بل ما تحمله من معلومات وأفكار لم تدون بل تفهم وتقرأ في سياقاتها التاريخية والثقافية والعلمية.
وجاء هذا الباب في ثلاثة فصول:
- حياته الشخصية والعلمية، حوى ثلاثة مباحث تناولت حياة الإمام الشخصية، حياته العلمية وحياته التعليمية.
- معالم مهمة في إمامة مالك بن أنس: وهذا الفصل اجتهاد من الباحث في استنباط جوانب عظمة شخصية الإمام العلمية وأسباب المكانة المرموقة التي بلغها بين أقرانه وجيله وحتى من جاء بعده، ومن ذلك: نزوعه إلى القرآن الكريم في الاستدلال والترجيح، حسه الحديثي، معرفته بالرجال، صفة الاتباع عنده، وكراهيته للابتداع، تقدمه في الفقه مع الورع في الفتوى.
- 2- الباب الثاني: تناول فيه دراسة وصفية ونقدية لكتاب الموطأ، حيث قدم الباحث تعريفاً معمقاً ومفصلاً بالموطأ، وجاء في ثلاثة فصول، بسط فيها ما يلي:
- الأول: تعريف بالكتاب وأشهر رواياته، حيث حوى مبحثين فصل فيهما بواعث الإمام على تأليف الكتاب مروراً بالتسمية وتاريخ ذلك، ثم أورد روايات الموطأ على طولها بأسلوب نقدي، وختم الفصل بدراسة مقارنة بين تلك الروايات الكثيرة.
- الثاني: المنزلة العلمية لكتاب الموطأ من الناحية الحديثية، أين أبان فيه الباحث من خلال ثلاثة فصول عن أسباب بلوغ موطأ مالك تلك المكانة التي شهد له بها العلماء قديماً وحديثاً، وذلك من خلال ثلاثة مباحث كشف فيها عن مراتب رجال الموطأ الحديثية، ثم درجة أحاديث الموطأ ووجوه النقد والتعليل فيها وختم الفصل بالحديث عن مكانة الموطأ بين كتب السنة المطهرة بنفس نقدي ودلائل معرفية وحجج قوية، انتصر بها للكتاب.

³⁰ - الإمام مالك وعمله بالحديث من خلال كتابه الموطأ، محمد بن يحيى مبروك، دار ابن حزم، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.

- الثالث: أَمَاط فيه اللثام عن منهج الإمام مالك في الموطأ من خلال ثلاثة مباحث صال فيها وجال مبرزاً قدراته المعرفية على دقة الفهم والاستنباط باستخراج منهج الإمام بملاقط العقل وحسن الفهم وجودة النظر، بدأ بالحديث عن منهج الإمام في الكتاب جملة ثم في كل كتاب منه، ثم انتقل إلى بسط الكلام عن ذلك المنهج في أبواب الموطأ من حيث التراجم فاختيار الأحاديث وترتيبها؛ وكذا منهجه في عرض الآيات وإيراد الفروع الفقهية.
- وختم الفصل بالحديث عن منهجه في رواية الحديث وتفسيره.
- 3- الباب الثالث: عبارة عن دراسة تطبيقية حاول أن يجيب فيها عن الإشكالية الأصولية الفقهية والحديثية التي تقول بأن الإمام مالك رحمه الله أورد أحاديث في موطئه ولم يعمل بها.
- حيث جمع كل تلك الأحاديث ودرسها دراسة نقدية متنية. مقسماً الباب إلى فصلين كبيرين:
- الأول عالج فيه أحاديث قسم العبادات من خلال مبحثين، بسط في الأول أحاديث الطهارة والصلاة وعددها تسعة أحاديث، وفي الثاني أحاديث الزكاة والحج والجهاد والضحايا، وعددها سبعة أحاديث.
- الثاني عالج فيه أحاديث قسم المعاملات من خلال مبحثين، بسط في الأول أحاديث النكاح والرضاع والبيوع، وعددها ستة أحاديث، وفي الثاني أحاديث الأقضية والحدود والعقول والقسامة وكتاب الجامع، وعددها ثمانية أحاديث.
- ليصير مجموع الأحاديث المدروسة ثلاثين حديثاً.
- وختم دراسته بأهم النتائج التي توصل إليها مع ملحق أورد فيه بقية متون الأحاديث التي انتقدت على الإمام مالك مرتبة على الأبواب الفقهية.

المطلب الثالث: ما يستفاد من الدراسة

المطلع على هذه الدراسة يقف على جملة من النتائج العلمية التي أثبتتها الباحثة في كتابه، والتي تبرز المكانة الحقيقية والمرموقة للموطأ، من حيث منهج الإمام مالك فيه، وأنه كان له فضل السبق في ذلك، حيث لم يسبقه من المتقدمين أو المتأخرين والمعاصرين من خدم الموطأ هذه الخدمة الجليلة، ويمكن أن نجمل هذه الجهود فيما يلي:³¹

³¹ - يراجع في بعض ذلك خاتمة الرسالة.

- 1/ أن الباحث قام بعمل نقدي ممتاز يضاهي صنيع الإمام ابن حجر مع صحيح البخاري والذي بثه في مقدمة شرحه للصحيح، وهي المقدمة المسماة هدي الساري، حيث لم يترك شاردة ولا واردة في الموطأ (باعتباره مصدرا من مصادر السنة) إلا درسها ونقدها.، من حيث الكشف عن منهج المصنف في كتابه.
- 2/ بيّن عمل الباحث أن الإمام البخاري نسج على منوال الإمام مالك في كتابه من حيث طريقة التصنيف، التبويب، التراجم، ترتيب الأحاديث، طريقة إيرادها والتعليق عليها. (الاختصار، التقطيع، التكرار، شرح الغريب)
- 3/ استقراء وتحقيق المسائل الفقهية التي اعتمد فيها الإمام مالك على عمل أهل المدينة كأصل من أصول الفقه.
- 3/ أن الإمام مالك تميز عن غيره بانتقاء الشيوخ قبل التحديث عنهم، مخالفا قاعدة المحدثين الشهيرة: التقميش قبل التفتيش.
- 4/ أنه أول من صنف على طريقة الأبواب، وأن كل من جاء بعده هم عيال عليه، وعلى رأسهم الشيخان
- 5/ أنه كان شديد التقيد بالنصوص في أبواب العبادات، بينما كان في أبواب المعاملات بعقودها وشروطها يراعي المقاصد الشرعية وينزع إلى التعليل فيها.
- 6/ أن روايات الموطأ قريبة ف أحاديثها لاتحاد أصلها، وما يقال عن التهذيب والاختصار الذي يُسقط آلاف الأحاديث والآثار لا يستند إلى دليل واقعي، وما أثبتته الدراسات من الخلاف لا يتجاوز أحاديثه المائة.
- 7/ أن الإمام أكثر من المراسيل والمقاطيع والموقوفات وأثرها في الرواية على المرفوعات والموصولات احتياطا وورعا، وذلك منهج الصحابة والتابعين، بدليل أن جل ما فيه انقطاع في الموطأ موصول أو مرفوع في الصحيحين أو غيرهما من كتب السنة، وربما هو من طريق مالك نفسه.
- 8/ أن من روى عنهم مالك في كتابه ثقات في الجملة وإن تفاوتوا في القوة والاعتبار، وأن روايته عن بعض من اتهموا بالبدعة دليل على أنه لا يرد رواية المبتدع مطلقا، وهو خلاف المشهور عنه في المسألة.
- 9/ أن الأحاديث المنتقدة عليه أنه لم يعمل بها اعتمد في معارضتها على جملة من المقاييس هي: عمل أهل المدينة، ظاهر القرآن وعمومه، الأحاديث النبوية، القياس، الاستصلاح، الأصول العامة، سد الذريعة.

10/ أن مالكا رحمه الله قد استعمل تلك الأحاديث المنتقدة عليه وعمل بها بوجه من الوجوه المحتملة، وأما الأحاديث التي ترك العمل بها فهي نادرة.

/ وأما عن جزئيات منهجه في الكتاب فيمكن إجمالها فيما يلي:

11/ ابتداء الكتاب دون مقدمة وختم بكتاب الجامع.

12/ الاستدلال بالقرآن لم يشمل كل الأبواب.

13/ الإطناب في الموضوعات الفقهية التي يحتدم فيها الخلاف.

14/ التمايز بين قسمي العبادات والمعاملات، الأول تقيد فيه بالنصوص أكثر، والثاني كان ينزع فيه إلى التعليل وتوجيه النصوص وكثرة الأمثلة.

15/ الترتيب والتنسيق بين المجموعات الكبرى للكتاب الواحد؛ و الاهتمام بتوالي الأبواب المتقابلة في أحكامها.

16/ العناية بمطالع الكتب في عنوانات أبوابها، حيث راعى المناسبة في الاستهلال ونظر لكل كتاب على حدة.

17/ تذييل الموضوع أو الكتاب بجامع للمتفرقات من الحديث والأثر.

18/ حاز الإمام مالك قصب السبق في مسألة اهتمامه بتراجم الأبواب، حيث نجد فيه فقه الحديث والأثر في العنوانات المفرعة عن الكتاب تحت أبواب.. وله تراجم ظاهرة وخفية.

19/ له منهج خاص متبع في اختيار الأحاديث وترتيبها في الأبواب والتعليق عليها. وكذا مع الآيات والآثار، وله السبق في ذلك.

20/ له منهج خاص في رواية الحديث وتفسيره، ومن ذلك منع الرواية بالمعنى خاصة في المرفوع، ومن ذلك اختصار الحديث، تقطيع الحديث، تكرار الحديث، ومن ذلك شرح الغريب وتفسير الحديث بأنواعه.

المبحث الثالث: دراسات حول الموطأ خارج الجامعة

أثناء البحث في الموضوع وقفت على دراستين حول منهج الإمام مالك ، واحدة أكاديمية لباحثة جزائرية ولكن خارج الجامعة الجزائرية، والثانية ليست أكاديمية

المطلب الأول: دراسة جزائرية بالخارج:

وهي عبارة عن رسالة جامعية من قسم الشريعة كلية دار العلوم بالقاهرة، إعداد الباحثة ليلى بوحارة وإشراف الدكتور محمد بلتاجي حسن، تحمل عنوان (الإمام مالك محدثا وفقهيا)³² وارتكز بحثها على الموطأ والمدونة، وطُبعت لاحقا كتابا بدار الإمام مالك، البليدة، الجزائر عام 2018م. الطبعة الأولى.

تناولت في جزء من دراستها وهو الباب الأول جزءا من منهج الإمام مالك في الموطأ، وذلك في الفصل الثالث، الذي عنوانته ب(منهج الإمام مالك في توثيق السنة) أين أوردت فيه ثلاثة مباحث، خصصت الأول للحديث عن منهجه في تقسيم الآثار في الموطأ، ثم منهج مالك بالنسبة للراوي، فمنهج مالك بالنسبة للمروي من حيث المتن:

وما ميز دراستها أنها لم تتعمق في دراسة الموطأ من داخله بل اكتفت بسوق أقوال علماء المالكية حوله أمثال القاضي عياض والحافظ ابن عبد البر والقاضي أبو بكر ابن العربي، والإمام الدهلوي والشيخ الطاهر بن عاشور وغيرهم، بمعنى لم تكن دراستها ميدانية انطلاقا من الموطأ، بل نظرية اللهم بعض الأمثلة من الموطأ.

وكان اشتغالها الأكبر حول الإمام مالك محدثا كونها متخصصة في الفقه والأصول. ومن ثمة فقد اعتمدت في هذا الجانب المدونة أكثر من اعتمادها على الموطأ.

المطلب الثاني: دراسة جزائرية غير أكاديمية

وهو عبارة عن كتاب بعنوان (المدخل إلى موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه) ألفه صاحبه أبو عاصم بشير الضيف بن أبي بكر بن بشير بن عمر المالكي الجزائري، عام 2008م.

³² - الإمام مالك محدثا وفقهيا، ليلى بوحارة، دار الإمام مالك، البليدة الجزائرية، الطبعة الأولى، 2018م.

وهو يرمي إلى جعله مقدمة للموطأ، تعرف به وتبين منهجه، حيث صرح في مقدمته بقوله: "أما بعد فإن الدافع لتأليف هذا الكتاب المتواضع هو أنني لم أر من وقى الموطأ حقه من كل الجوانب العلمية.....وسوف يرى القارئ لهذا الكتاب العشرات من الكتب التي اعتمدت عليها وهي تعتبر الاستدراكات وزيادات وحواش على الكتب السابقة الذكر، وقد اجتهدت في تبويبه وتفصيله وجمع معلوماته وتنسيقها وترتيبها.....وأخيرا هي محاولة من طويلب علم صغير يحاول أن يسلط الضوء على الموطأ، فهي بمثابة مقدمة أو مدخل للموطأ على غرار مقدمة هدي الساري للإمام ابن حجر العسقلاني..."³³

والكاتب وإن كانت نيته حسنة، إلا أن النية في البحث العلمي لا تكفي وحدها، إذا لم يكن لدى المؤلف مكنة علمية ودربة منهجية وأدوات بحثية تمكنه من بلوغ الهدف.

ولذا جاء هذا الكتاب خالي الوفاض مما سطره لع صاحبه، اللهم في بعض المواطن.

ومما يلاحظ عليه:

- 1/ كثرة الأخطاء المطبعية، ولغة غير سليمة على العموم.
- 2/ اضطراب في معلومات توثيق النصوص
- 3/ عدم دقة المعلومات المقدمة من حيث التوثيق.
- 4/ مغالطات في المعلومات المقدمة وعدم نسبة الأقوال إلى أصحابها، حيث يرسل كلام العلماء وكأنه له. حيث كثيرا ما يصدر بعض الفقرات بعبارة: (قلت) والكلام ليس له.
- 5/ سوء ترتيب الكتاب بحيث نقف على تكرار كثيرا من الفقرات وعلى العموم رغم اجتهاد الكاتب في جمع شتات الموضوع من بطون الكتب التراثية إلا أنه لم يأتي بجديد ولم يصل إلى الأهداف المسطرة، ويصلح في كتابه قول أحدهم (ما يسع المحدث جهله).

³³ - المدخل إلى موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، الشيخ أبو عاصم بشير، دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2012م، ص 7-9.

الخاتمة: النتائج والتوصيات

تبين من خلال استقراء الدراسات الأكاديمية للباحثين الجزائريين حول منهج الإمام مالك في موطئه:

- قلة الدراسات في هذا الموضوع بالخصوص وحول الموطأ بالعموم مقارنة بالدراسات حول الصحيحين وخاصة صحيح البخاري.
- الجانب الأكبر من الدراسات كان في مجال المقالات العلمية في حين كان قليل في الأطاريح.
- معظم الدراسات كانت منصبة على الجانب الفقهي والأصولي في حين أغفل نسبيا الجانب الحديثي، سواء من جهة علم الدراية أو علم الرواية.
- كل الدراسات اهتمت بجانب معين من منهج الإمام مالك في الموطأ، ولم تغطي باقي الجوانب.
- أهم دراسة أعطت منهج الإمام مالك حقه من حيث الشمول والاستيعاب والدقة في البحث هي دراسة الباحث محمد يحيى بن مبروك.
- كانت الدراسة بمثابة فتح في مجال البحث العلمي حيث غطت جانبا كان مغفلا منذ قرون حول كتاب من أهم كتب السنة، لم يسبق إليه الكاتب.
- خدمت الدراسة موطأ الإمام مالك رحمه الله خدمة جلييلة مستوفية الجوانب على العموم.
- ومن ثمة أوصي الباحثين بالاشتغال على بدأه الباحث في الجانب التطبيقي من عمله، وهو الأحاديث التي اهتم الإمام مالك رحمه الله أنه لم يعمل بها، وقد قدم الباحث بعضها منها في دراسته كنماذج، وأورد البقية في ملحق.
- فهي تحتاج لجهود علمية لإكمال دراستها لمعرفة مقاصد الإمام من عدم العمل بها.
- كما أوصي خدمة للموطأ باستخراج عمل الحافظ ابن عبد البر في تمهيده وإفراده بمصنف مستقل، وذلك في الأحاديث التي وصلها ابن عبد البر وجاءت مرسلة في الموطأ، على غرار عمل الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق.

قائمة المصادر والمراجع

- ¹ - أثر الإمام مالك رحمه الله وموطنه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي، عبد الرحمن بن عمري بن عبد الله الصاعدي، مجلة جامعة طيبة، العدد 8 السنة الخامسة، 1437 هـ.
- ² - مالك بن أنس وآراؤه الحديثية رواية ودراية. حسان موهوبي، إشراف محمد محدة، رسالة ماجستير. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 1995م.
- ³ - البلاغات غير المرفوعة عند الإمام مالك من خلال الموطأ، وصلا ودراسة، من إعداد الباحث بن مجدوب إدريس وتحت إشراف الدكتور مصطفى حميداتو، رسالة دكتوراه، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2019م.
- ⁴ - مراعاة المقاصد الشرعية في فهم السنة النبوية، دراسة في أحاديث المعاملات من الموطأ والصحيحين والسنن الأربعة، رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة هند آكني تحت إشراف الدكتور سلمان نصر، عام 2018م. كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر.
- ⁵ - إطلاقات السنة عند الإمام مالك في الموطأ، دراسة تأصيلية فقهية، رسالة ماجستير من إعداد الباحثة قاسم فاطمة تحت إشراف الدكتور محمد اسطنبولي، 2008م.
- ⁶ - المسائل التي راجع عنها الإمام مالك في بابي العبادات من خلال الموطأ والمدونة، جمعاً ودراسة، أطروحة دكتوراه من إعداد الباحث حمزة بونعاس إشراف الدكتور سمير جاب الله، سنة 2012م. كلية الشريعة، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر.
- ⁷ - الكراهة عند الإمام مالك من خلال كتابه الموطأ، رسالة دكتوراه من إعداد الباحث لعربي محمد تحت إشراف الدكتورة مليكة مخلوفي، سنة 2013.
- ⁸ - منهج الإمام مالك في الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين في بيانه للسنة النبوية من خلال كتابه الموطأ، رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة قاسم فاطمة، إشراف الدكتورة سعاد سطحي، 2016.
- ⁹ - الأدلة العقلية عند الإمام مالك من خلال الموطأ والمدونة الكبرى، دكتوراه من إعداد الباحث نويوة زين الدين وتحت إشراف الدكتور بوبشيش صالح. 2007
- ¹⁰ - أفعال الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، رسالة دكتوراه من إعداد الباحثة كرازي وناسة، إشراف الدكتور هادف السعيد، عام 2018م.

- 11- حقيقة ترك الإمام مالك العمل ببعض الأحاديث التي رواها في الموطأ، أحاديث الطهارة والصلاة نموذجاً، جلة مصطفى، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة وهران أحمد بن بلة 1، مجلد 13 العدد1، جانفي 2021.
- 12- دفع تعارض روايات الموطأ في قنوت الصبح عند الإمام مالك، أحمد علي زواري، مجلة الإحياء جامعة حمة لخضر الوادي، مجلد 18 العدد 21 جوان 2018م.
- 13- ضوابط الفهم المقاصدي وأثرها في فهم السنة عند الإمام مالك رحمه الله، يمينة بوسعادي، مجلة المعيار كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر، مجلد 25 عدد 57، 2021م.
- 14- منهج الإمام مالك رحمه الله في ترتيب أحاديث الباب في كتابه الموطأ، أحمد خويلدي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، مجلد 12 العدد1، 2021م.
- 15- منهج الإمام مالك بن أنس في الرواية عن عكرمة مولى عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما، محمد علي سناقرية، مجلة الشهاب مجلد 7 العدد1، 2021م.
- 16- منهج الإمام مالك رحمه الله في تفسير الكلاله من خلال الموطأ، بن أودينة أشرف جلال، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، مجلد 26 العدد 36، 2022م.
- 17- منهج الإمام مالك في المناولة، عبد الحميد محمد العزابي، مجلة الذخيرة جامعة غرداية، مجلد 7 العدد2، 2023م.
- 18- منهج الإمام مالك في تفسير آيات الأحكام، الموطأ نموذجاً، بلخير مراد، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة وهران 1، العدد 8، 2017م.
- 19- مكانة الموطأ في الجزائر، علي عزوز، جامعة الجزائر، ملتقى المذهب المالكي في الجزائر، أفريل 2004م.
- 20- لمحات في منهجية العمل بدلالات السنة النبوية، وقفات تحليلية في اجتهادات مالك بكتاب الموطأ، حسان موهوبي، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، مجلد 12 العدد 24، 2010م.
- 21- الأثر الفقهي لترك الإمام مالك للحديث وأخذه بقول الصحابي، نوح دربال، جامعة الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات، العدد13.
- 22- الآراء السياسية للإمام مالك من خلال الموطأ، لخضر دلهوم، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مجلد 7 العدد 1، 2015م.
- 23- الاستنباط من القرآن الكريم عند الإمام مالك من خلال كتابه الموطأ، الهواري بلجيلالي، جامعة وهران 1، مجلة الحضارة الإسلامية، مجلد 18 العدد 1، 2017م.
- 24- التفسير المقاصدي للنصوص الشرعية عند الإمام مالك في كتابه الموطأ، عبد الغاني ادعيل، جامعة غرداية، مجلة الذخيرة، مجلد 2 العدد 2، 2018م.
- 25- تحقيق القول في مسألة تعارض قاعدة سد الذرائع مع خبر الواحد عند الإمام مالك، مصطفى جلة، مجلة الإبراهيمي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 5 العدد 2، 2021م.

- 26- فقه التوسط عند المالكية، قراءة سياسية في أصول وقواعد الإمام مالك رحمه الله، عماد المرزوق، مجلة الشهاب، جامعة الحاج لخضر، مجلد 8 العدد 2، 2022م.
- 27- قراءة في آراء الإمام مالك السياسية، أحمد أولاد سعيد، جامعة غرداية، مجلة الذخيرة، مجلد 1 العدد 1، 2017م.
- 28- ملامح فقه الموازنات عند الإمام مالك رحمه الله، يوسف نواصة، مجلة الشهاب، مجلد 4 العدد 2، 2018م.
- 29- منتقى من نصوص مالك الواردة في الموطأ التي أجراها المالكية مجرى القواعد الفقهية، مهدية بلهول، مجلة المعيار، مجلد 23 العدد 45، 2019م.
- 30- الإمام مالك وعمله بالحديث من خلال كتابه الموطأ، محمد بن يحيى مبروك، دار ابن حزم، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.
- 31- الإمام مالك محدثاً وفقهياً، ليلى بوحارة، دار الإمام مالك، البليدة الجزائرية، الطبعة الأولى، 2018م.
- 32- المدخل إلى موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، الشيخ أبو عاصم بشير، دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2012م.